Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

للمعانى وبالضد من ذلك؛ حتى يكون متكلفاً يتبعه المعنى، فإن كان من القسم الأول فهو المحمود الدال على الفصاحة وحسن البيان، وإن كان من الثانى فهو المذموم المرفوض. فأما القرآن فلم يرد فيه إلا ما هو من القسم المحمود لعلوه فى الفصاحة وقد وردت فواصله متماثلة ومتقاربة".(١) ومن تحليل ابن سنان لأضرب الفواصل تبرز المعايير التى بواسطتها تتفاضل أنماط الفواصل، فالمحك الأساسى فى ذلك هو أن تفضى المعانى إلى أى ضرب منهما إفضاء طبيعيًا بحيث تأتى الفاصلة متمكنة فى مكانها، أما إن كانت الألفاظ هى المفضية إلى الفاصلة فإن ذلك يجعل الكلام بعرض الاستكراه والضعف والتكلف. وتلفتنا فطنة ابن سنان إلى أن "المحذورات التى من أجلها كان ذم السجع ليست ذاتيّة له ولا ناشئة من طبيعته، وإنما هى أمور عارضة يمكن أن ينفصل عنها ويتجرد منها فلا يكون مذمومًا".(٢) فعنده أن "المذهب الصحيح أن السجع محمود إذا وقع سهلاً متيسراً بلا كلفة ولا مشقة، وبحيث يظهر أنه لم يقصد فى نفسه ولا أحضره إلا صدق معناه دون موافقة لفظه، ولا يكون الكلام الذى قبله إنما يتخيل لأجله ورد ليصير وصلة إليه".(٣) وثنائية معيار التقييم هذه هى المذهب المجمع عليه لدى المشتغلين بالبلاغة القديمة، والملاحظ "أن التصورات القديمة عالجت محسنات البديع، بلْهَ الموضوعات البلاغيّة الأخرى، انطلاقًا من هذه القسمة الصارمة؛ فهذه كومة من الألفاظ، وتلك كومة من المعانى".(٤)

وفى "المثل السائر" يتجلى موقف دارسى تقاليد البيان العربى من وقوع السجع فى القرآن –وهو موقف معارض بشكل ظاهر لموقف دارسى إعجاز النص القرآنى ومفسريه– يقول ابن الأثير: "وقد ذمه بعض أصحابنا من أرباب هذه الصناعة، ولا أرى لذلك وجهًا سوى عجزهم أن يأتوا به، وإلا فلو كان مذمومًا لما ورد فى القرآن الكريم؛ فإنه قد أتى منه بالكثير، حتى إنه ليؤتى بالسورة جميعها مسجوعة، كسورة

---

(١) سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجى، ص ١٦٥. وعبارة ابن سنان عاليه، توحى ضمنياً باستخدام مصطلح "الفاصلة" فى غير النص القرآنى.

(٢) مقال: السجع وتناسب الفواصل وما يكون من ذلك فى القرآن الكريم، الشيخ عبد الرحمن تاج، مجلة مجمع اللغة العربية، ع٣٦، القاهرة، ١٩٧٥، ص ٣٤.

(٣) سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجى، ص ١٦٣– ١٦٤.

(٤) البديع فى تراثنا الشعرى، دراسة تحليلية، عاطف جودة نصر، ص ٧٥.